مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 1 / جوان 2021
ص ص 34-41

بلاغة البناء للفاعل والبناء للمفعول في متشابه اللفظ في القرآن الكريم

Rhetoric of the construction of the subject and the construction of the object in the similarity of pronouncement in the Quran

نجاة مشيتوة[1]*، سليم عواريب[2]
[1] عبد الحفيظ بوالصوف، المركز الجامعي ميلة، مخبر الدراسات التراثية (الجزائر)،
n.mechitoua@centre-univ-mila.dz
[2] عبد الحفيظ بوالصوف،المركز الجامعي ميلة، مخبر الدراسات التراثية (الجزائر)،
s.aouarib@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2021/05/05 القبول: 2021/06/27 النشر: 2021/06/30

ملخص:

من أسرار بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم تماشي الأساليب اللغوية مع السياقات المختلفة، فكثيرا ما نجد آيات متشابهات ألفاظها يأتي الفعل بواحدة منها مبنيا للفاعل، ويأتي في شبيهتها مبنيا للمفعول، وهذا لتحقيق أغراض بلاغية مختلفة، وإحداث اختلافات دلالية جوهرية، ولذلك يهدف هذا البحث إلى مناقشة قضية اختلاف دلالة التركيب بين ذكر الفاعل وحذفه، في محاول للإجابة على إشكالية بلاغة البناء للفاعل والبناء للمفعول، من خلال تحليل بعض الآيات المتشابهة الألفاظ في القرآن الكريم، والتي تختلف من حيث صيغة بناء الفعل للمعلوم أو للمجهول، ليصل البحث إلى تحقيق مجموعة من النتائج منها: أن حذف الفاعل يدل على الاهتمام بالفعل، وتسليط الضوء على الحدث، وبيان مدى تعلق هذا الأخير بمفعوله.

الكلمات المفتاحية : البناء للفاعل؛ البناء للمفعول؛ الدلالة؛ المتشابه اللفظي.

Abstract:

One of the secrets of the rhetoric of similar verbal similarity in the Quran is that linguistic methods are consistent with different contexts. We often find verses with similar words in which the verb comes in one of them based on the subject, and in the other based on the object, and this is to achieve different rhetorical purposes and make semantic differences.

Therefore, this research aims to discuss the issue of difference the significance of the composition between mentioning the subject and his deletion, in an attempt to answer the problem of constructive rhetoric for the subject and constructing the object, by analyzing some verses with similar words in the noble quran, with differ in terms of the verb construction formula for the known or unknown, so that the researche researches the achievement of a set of results,including: that deleting the subject indicates interest in the action, highlighting the event, and indicating the extent to which the latter is related to its effect.

Keywords: the construction of the actor; construction for the effect; indication; verbal similarity.

* المؤلف المراسل

1 مقدمة:

تختلف سياقات الكلام باختلاف المقام، فتختلف التراكيب والجمل تبعا لذلك، فما يصلح من تركيب في مقام لا يصلح في غيره، ولا تنتج عنه الدلالة نفسها، وقد وردت في القرآن الكريم آيات متشابهات ألفاظها، ذكرت فيها أفعال مبنية للمعلوم في مواضع منها، ومبنية للمجهول في مواضع أخرى، هذا التلوين في الخطاب القرآني يرجع بالضرورة إلى السياق، والتغير في بناء الفعل تارة للمعلوم وتارة للمجهول لا بد وأن ينتج عنه تحوّل دلالي.

_ فهل حقا اختلاف صيغة بناء الفعل للفاعل أو المفعول يؤثر على الدلالة العامة للتركيب؟

إذا كان كذلك:

_ فما هي الدلالة التي تنتج عن اختلاف الصيغتين (البناء للمعلوم والبناء للمجهول) في الخطاب القرآني للمتشابه اللفظي؟

_ وما هي بلاغة التعبير بالبناء للفاعل، أو للمفعول؟

تقودنا إشكالية البحث إلى افتراض مفاده أن: اختلاف صيغة بناء الفعل تارة للفاعل، وتارة للمفعول لا يأتي اعتباطا وإنما له ما يعضده؛ من خلال ما ينتج عنه من البلاغة والإيجاز والإعجاز القرآني.

وقد وقف على موضوع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه ثلة من علمائنا الأفاضل؛ الذين جمعوا بين مختلف المباحث اللغوية في سبيل توجيه آياته، ومنهم: الخطيب الإسكافي في "درته"، والكرماني في "برهانه"، والغرناطي في "ملاكه"، ومن المحدثين فاضل صالح السامرائي، ومحمد فاضل صالح السامرائي، لكن هذا البحث جاء ليخصص حديثه عن البناء للمعلوم والبناء للمجهول في المتشابه اللفظي دون غيره، ودون الخوض في القضايا اللغوية الأخرى التي تؤثر على الدلالة.

لنتوصل في الأخير إلى مجموعة من النتائج منها: إثبات صحة الفرضية الموضوعة، وبيان قيمة الحدث ومدى تعلقه بفاعله الأصلي.

2 المتشابه اللفظي

يعرف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بأنه: « إن المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان» (الإسكافي، 1422هـ/2001م، صفحة 55_56)

فالمراد بالمتشابه اللفظي الآيات التي تكررت في القرآن الكريم أو التي يشبه بعضها بعضا من حيث الألفاظ، وبنية الكلمات وصياغة الجمل والتراكيب، والتي وقع في بعضها زيادة أو نقصان، تعريف أو تنكير، تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف بآخر أو كلمة بأخرى، أو من حيث الجمع والإفراد والإيجاز والإطناب. ويرد هذا النوع في قصص القرآن لأنها كثيرا ما تتكرر في مواضع مختلفة وسور متعددة (الكفوي، 1413هـ/1993م، صفحة 845)

3 البناء للفاعل

إذا سمعنا متحدثا يقول: ضرب زيد عمرو؛ فهمنا أن الذي ضرب عمرو هو: زيد، ففاعل الضرب في هذه الجملة معلوم، ولذا نقول: إن فعل الضرب الذي سمي فاعله هو فعل مبني للمعلوم (مبني للفاعل). فالفعل المبني للفاعل هو: الفعل الذي يسمى فاعله أو يذكر، ويعرف سواء كان هذا الفاعل ظاهرا، أو ضميرا مستترا أو ضميرا بارزا (الأفغاني، (د ت)، صفحة 52).

4 البناء للمفعول:

يقول ابن مالك:

ينوب مفعول به عن فاعل فيما له كنيل خير نائل (الفوزان، (د ت)، صفحة 339)

يسمي جار الله الزمخشري الفعل المبني للمجهول بالمبني للمفعول، ويعرفه بأنه ما « استغني عن فاعله فأقيم المفعول مقامه وأُسند إليه معدولا عن صيغة فَعَلَ إلى صيغة فُعِلَ، ويسمى فعل ما لم يسم فاعله» (الزمخشري، 1425هـ/2004م، صفحة 259)؛ فالفعل المبني للمجهول هو ما لم يسم فاعله فناب عن هذا الأخير المفعول به وأقيم مقامه، وأصبح مرفوعا بعد أن كان منصوبا وسمي نائب الفاعل.

ويعمد إلى البناء للمجهول ونائب الفاعل لأن العناية قد تكون بالمفعول كما تكون بالفاعل، وقد تحدث ابن جني عن البناء للمجهول مشيرا إلى أن وضع المفعول به هو أن يكون فضلة، ويأتي بعد الفاعل؛ كقولك ضَرَبَ زيدٌ عمرا، فإذا كانت العناية بالمفعول قدموه على الفاعل نحو: ضرب عمرا زيدٌ، وإن ازدادت عنايتهم به (المفعول به) قدموه على الفعل ناصبه نحو: عمرا ضربه زيد، وهكذا جعلوه ربّ الجملة وتجاوزوا كونه فضلة، ثم لم يرضوا له بهذه المنزلة فصاغوا الفعل له وتركوا ذكر الفاعل ظاهرا أو مضمرا قائلين: ضُرِب عمرو، فالغرض من هذه الصياغة أن يعلم أنه منضرب وليس ليعلم من الذي ضربه. وأسندوا بعض الأفعال للمفعول دون الفاعل نحو قولهم: أُولِعت بالشيء بدل القول: أولعني به كذا، وكل هذا يدل على شدة عنايتهم بالفضلة (ابن جني، 1406هـ/1986م، صفحة 65_66).

1.4 صيغة الفعل المبني للمجهول:

إذا أسند الفعل إلى نائب الفاعل وكان ماضيا يضمّ أوّله ويكسر ما قبل آخره، ,إذا كان مضارعا يضمّ أوله ويفتح ما قبل آخره (الجارم و أمين، (د ت)، صفحة 147). والغاية من ذلك « إنما ضموا الأول ليكون دلالة على المحذوف الذي هو الفاعل إذ كان من علاماته، وإنما كسروا الثاني لأنهم لما حذفوا الفاعل الذي لا يجوز حذفه، أرادوا أن يصوغوه على بناء لا يشركه فيه شيء من الأبنية، فبنوه على هذه الصيغة، فكسروا الثاني، لأنهم لو ضموه لكان على وزن: طُنُب، وجُمُل، ولو فتحوه لكان على وزن: نُغَر، وصُرَد، ولو أسكنوه لكان على وزن: قُلْب، وقُفْل، فلم يبق إلا الكسر فحرّكوه به» (الأنباري، 1418هـ/1997م، صفحة 67).

ويؤكد ابن جني أن الفعل إذا بني للمجهول فإن ذلك لا يعني الجهل بالفاعل، وإنما ليعلم أن الفعل قد وقع به؛ فالمعنى المقصود من ذلك ليس ذكر الفاعل. قال تعالى: (وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا) [النساء 28]، وقال أيضا: (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [الأنبياء37]، وهذا مع قوله عز وجل: (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) [العلق2]، فالغرض من هذا المعروف الفاعل إذا بني للمفعول هو الإخبار عن وقوع الفعل به فحسب، وليس الغرض ذكر من أوقع الفعل به (ابن جني، 1406هـ/1986م، صفحة 135).

2.4 نائب الفاعل:

قد يستغنى عن الفاعل ويؤتى بما ينوب عنه؛ وذلك لتحقيق أغراض متعددة، منها:

- السجع والحفاظ عليه في الكلام المنثور؛ نحو قولك: من طابت سريرته حُمِدت سيرته، ولإقامة النظم (السامرائي ف.، معاني النحو، 1420هـ/2000م، صفحة 71)؛ نحو:

عُلِّقتها عرضا وعُلِّقت رجلا غيري، وعُلِّق أخرى ذلك الرجل (الأعشى، (د ت)، صفحة 57)

فالأعشى في هذا البيت بنى الفعل (علّق) ثلاث مرات للمجهول، ولو أنه بناه للمعلوم وذكر الفاعل في كل مرة منها أو في بعضها لما استقام له وزن البيت

- الإيجاز
- مناسبة ما تقدمه

- الجهل بالفاعل والإبهام، كقولك: سُرِق المال، إذا لم تعلم السارق (الأشموني، 1375ه/1955م، صفحة 180)، فلا تستطيع تعيينه للمخاطب.

- العلم به، فقد يكون الفاعل معلوما لدى المخاطب ولا حاجة لتكراره (ابن عقيل، 1400ه/1980م، صفحة 111)؛ نحو قولك: (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [الأنبياء37] فنحن نعلم أن الله هو الخالق.

- للتعظيم كعدم ذكر الفاعل مقرونا بالمفعول به تعظيما له، أو للتحقير والانتقاص كصون المتكلم لسانه عن ذكر الفاعل تحقيرا له؛ نحو: (خُلِق الخنزير) فلم يذكر الخالق عند ذكر الخنزير تعظيما له (السامرائي ف.، معاني النحو، 1420ه/2000م، صفحة 72).

والأصل في النيابة عن الفاعل أن ينوب عنه المفعول به؛ ولذلك سمي البناء للمجهول البناء للمفعول، ويمكن أن ينوب عن الفاعل أشياء غير المفعول به كالظرف، أو المصدر، أو الجار والمجرور (أبو العباس، (د ت)، صفحة 66).

5 الدراسة التطبيقية

في الخطاب القرآني هناك آيات متشابهات الألفاظ، يرد في إحداها الفعل مبنيا للمعلوم، وفي الأخرى مبنيا للمجهول، سنقف عليها بغية البحث عن أثر ذلك الاختلاف بين الصيغتين في الدلالة:

1.5 قوله تعالى: (وُيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا، قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) [الإنسان15_16]، وقوله أيضا: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) [الإنسان 19]

ـ جاء الفعل (طَافَ) في الآية الأولى مبني للمجهول (يُطَافُ)، وجاء في الآية الثانية مبنيا للمعلوم (يَطُوفُ)

ورد (يَطُوفُ) فعلا مضارعا مبنيا للمعلوم في الآية الأولى، وورد (يُطَافُ) فعلا مضارعا مبنيا للمجهول في الآية الثانية، فلماذا اختلفت الصيغة من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول؟

يرى الكرماني أن الغرض من بناء الفعل للمجهول في الآية الأولى هو ذكر ما يطاف به لا الطائفين، لذلك قال: (بِآنِيةٍ مِنْ فِضَّةٍ) [الإنسان15]، بينما الغرض من بناء الفعل للمعلوم في الآية الثانية هو الإخبار عن الطائفين لذلك قال: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) [الإنسان19] (الكرماني، 1406ه/1986م، صفحة 192)، يعني أن القصد من الآية الأولى هو وصف ما يطاف به من الأواني وليس وصف الطائفين بها لذلك عمد إلى بناء الفعل للمجهول ولم يسم الفاعل قاصدا به ذكر المفعول به لا الفاعل، أما في الآية الثانية فإن القصد فيها إلى وصف الفاعلين الذين يطوفون بتلك الآنية؛ لذلك بني الفعل للمعلوم وسمي الفاعل قال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) [الإنسان19] (الإسكافي، 1422ه/2001م، صفحة 1315_1317).

وقد تقدم ذكر الفعل المبني للمجهول على الفعل المبني للمعلوم على خلاف ما هو معروف في اللغة؛ إذ إن ذكر الفاعل في المرة الأولى يغني عن ذكره المرة الثانية، لكن هذه الآيات تتحدث عن حال أهل الجنة، والنعيم الذي أعده الله لهم فقدم ذكر ما ينعمون به وما يطاف عليهم به من آنية وما تحويه من شراب فكان الأهم للتقديم، ثم ذهب إلى ذكر الطائفين عليهم بتلك الآنية ووصفهم بأنهم ولدان مخلدون (الغرناطي، (د ت)، صفحة 497). ذلك أن « السياق الذي ورد فيه المبني للمجهول كان تعداد النعم التي يتمتع بها المؤمن في الجنة...فناسب ذلك أن تذكر آنية الفضة والأكواب القوارير التي كانوا يشربون بها لأنها من جملة النعم. فإذا انتهى من

تعداد ذلك كان لائقا التعقيب بذكر هؤلاء الغلمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين ويقدمون لهم ما يقدم من ألوان هذه النعم التي ذكرت قبلُ. وإنه لمن المعقول حقا أن يتقدم تعداد النعم على من يقومون بتقديمها، لأن من طبيعة الأشياء ألا يكون للمرء خدم وحشم إلا إذا كان صاحب نعمة» (القيسي، 1416هـ/1996م، صفحة 101_102).

وهو ما ذهب إليه الأنصاري في توجيه اختلاف بناء الفعلين للمفعول (يُطَافُ عَلَيْهِم)، والبناء للفاعل (يَطُوفُ عَلَيْهِم)، فالمقصود من الأول: ما طاف به لا الطائفون بقرينة قوله تعالى: (بِآنِيةٍ مِنْ فِضَّةٍ)، بينما المقصود من الثاني: الطائفون فذكر في كل منهما ما يناسبه (الأنصاري، (د ت)، صفحة 376).

وأشار محمد السامرائي إلى سبب آخر لتقديم المبني للمجهول على المبني للمعلوم؛ وهو أن سورة الإنسان مدنية سبقتها سورة الواقعة المكية والتي ذكرت أيضا من يطوف على أهل الجنة من ولدان، وذلك في قوله تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) [الواقعة17_18]، فأغنى ورود الطائفين في سورة الواقع المكية عن ذكرهم في سورة الإنسان المدنية (السامرائي م.، 1437هـ/2016م، صفحة 128).

أما الغرض البلاغي من البناء للمفعول في قوله تعالى: (وَيُطَافُ عَلَيْهِم) [الإنسان15]، فهو الإيجاز، وذلك من أجل الانتقال مباشر للحديث عن المفعول به ووصفه؛ وهي القوارير التي يسقى بها أهل الجنة، فالعناية في هذا الأسلوب كانت بالمفعول، ولو ذكر الفاعل لانتقلت أهمية الحديث إليه لا إلى المفعول به، وهو الغرض من بناء الفعل للمعلوم في قوله تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ) [الإنسان19]؛ إذ كان الفاعل في هذا البناء محوره.

2.5 قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة58]، وقوله أيضا: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف161]:

_ جاء الفعل الماضي (قَالَ) مبنيا للمعلوم (قُلْنَا) في آية سورة البقرة، ومبنيا للمجهول (قِيلَ) في آية سورة الأعراف

جاء في "كشف المعاني" أنه لما افتتح ذكر بني إسرائيل في سورة البقرة بذكر النعم التي أنعم الله بها عليهم في قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة47]، فقد ناسب ذلك البناء للفاعل ونسبة القول إليه عز وجل فقال (قُلْنَا)، أما في سورة الأعراف فقد افتتحت بما فيه توبيخ لبني إسرائيل؛ وذلك لقولهم: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف138]، ثم اتخاذهم العجل؛ فناسب ذلك البناء للمفعول وحذف الفاعل في قوله عز وجل: (قِيلَ لَهُمْ) (ابن جماعة، 1410هـ/1990م، صفحة 97)، فعدل عن الإكرام بالنعم ونون العظمة لأن السياق لإسراعهم في الكفر؛ فعبّر بالبناء للمجهول في (قيل) دليلا على أن هذا السياق للغضب عليهم، لإعراضهم عن الشكر وتسارعهم إلى الكفر (البقاعي، (د ت)، صفحة 135)، فجاءت تلك الجمل في غاية الفصاحة لفظا والبلاغة معنى، فتلك الجمل متعلق أوائل أواخرها بأواخر أوائلها، مع لطف الإخبار عن نفسه عز وجل؛ فيحين يذكر النعم يصرح بأن ذلك من عنده، نحو قوله تعالى: (بعثناكم)، و(ظللنا)، و(أنزلنا)، وحين يذكر النقم لا ينسبها إليه جلّ وعلا، فقال: (فأخذتكم الصاعقة) (البقاعي، (د ت)، صفحة 393).

فقرن الإخبار عن نفسه بما يليق بجوده وكرمه سبحانه وتعالى، فذكر الفاعل، أما في الأخرى فلم يسند الفعل إلى نفسه _عز اسمه_ ولم يسم الفاعل عادلا من الأصل إلى الفرع؛ لأنه عدل عن

ذكـر الـنعم إلى بيـان غضـبه علـيهم (الإسـكافي، 1422هـ/2001م، صفحة 236).

أما الغرض البلاغي من بناء الفعل (قال) للمعلوم في سـورة البقـرة (قلنـا)، وبنائه للمجهـول في سـورة الأعـراف (قيـل)؛ فـيكمن في مناسـبة مـا تقدمـه مـن ذكـر الـنعم في سـورة البقـرة، والتـوبيخ في سـورة الأعـراف، وكـذا للتعظـيم وعـدم نسـبة الفعـل إلى نفسـه عـز وجـل حتى لا يقتـرن ذكـره مـع ذكـر المغضوب عليهم.

3.5 قوله تعالى: (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اِسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) [التوبة86_87]، وقوله أيضا: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَـعَ الخَوَالِـفِ وَطَبَـعَ اللهُ عَلَـى قُلُـوبِهِمْ فَهُـمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [التوبة93]:

_ توجيـه ورود الفعـل (طَبَعَ) مبنيـا للمجهـول في الآيـة الأولى (طُبِـعَ)، ومبنيـا للمعلـوم في الآيـة الثانية (طَبَعَ) في سورة التوبة

يـرى الخطيـب الإسـكافي أنـه هنـاك تناسـب لفظي بـين بنـاء الفعـل (طبـع) في الآيـة الأولى للمجهـول، وبنائـه في الأخـرى للمعلـوم؛ ويكمـن هـذا التناسـب اللفظي في: ورود الفعل (طُبِع) في آخرة آية أُفتتحت بفعـل مبني للمجهـول في قولـه تعـالى: (وَإِذَا أُنْزِلَـتْ سُـورَةٌ) [التوبـة86]، والإنـزال يكـون مـن عنـد الله، وهـو بـذلك فعـل عُلـم بـأن فاعلـه هـو الله فيمـا لا يقتضي ذكـر الفاعـل بـه مزيـة، بـل يقـوم المفعـول بـه مقامه، فكان بنـاء الفعـل (طُبِع) للمجهـول محمـولا عليه؛ لأنه معلوم أن الله تعالى هو من يطبع كما أنه هـو مـن ينـزل، فكـان التوفيـق بـين أول الآيـة وآخرهـا في البنـاء للمجهـول هـو الاختيـار. أمـا الآيـة الأخـرى فلـم يـأت قبلهـا بنـاء للمجهـول فـورد الفعـل مبنيـا للمعلوم لمناسبة ما قبله، فسمى الفاعـل وهـو (الله)

ليكون هناك تنبيه وتحذير وتخويف للذين يطلبون المقـام وهـم قـادرون علـى الجهـاد (الإسـكافي، 1422هـ/2001م، صفحة 719_721).

وتبعـه في هـذا التوجيـه ابـن الزبير الغرنـاطي في ملاكـه (الغرنـاطي، (د ت)، صـفحة 232_233). والزركشـي في برهانـه فقـد نظـرا إلى بنـاء الفعـل (طُبِع) للمفعول نظرة التناسب مع ما تقدمه؛ لأن قبلـه قولـه تعـالى: (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُـورَة) [التوبـة86]، فقـد بني بهـا الفعـل (أُنزِلت) للمفعـول، ولـذا ورد الختـام متناسـبا مـع المطلـع في البنـاء للمفعـول في قوله تعـالى: (وطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم) [التوبة87]، وهـذا بخـلاف قولــه عــز وجــل فيمــا بعــد: (وَطَبَـعَ اللهُ)[التوبـة93]، فإنـه لـم يقـع قبـل هـذه الآيـة مـا يقتضي البنـاء للمفعـول فجـاءت على الأصـل وهـو البناء للمعلوم (الزركشي، (د ت)، صفحة 145).

وهنـاك توجيـه آخـر لهـذين البنـائين؛ وهـو: أن إسناد الطبع إلى الله تعالى صراحة يكون أشد تمكنا في القلب، وأثبت وأقوى مما لم يسند إليه، ولذلك فهـو يسـند الطبـع إلى الله في مـواطن المبالغـة والتأكيـد ويبني الفعـل للفاعـل، ويبنيـه للمفعـول فيما هو أقل من ذلك؛ ويتضح ذلك في قوله تعالى: (وَإِذَا أُنْزِلَـتْ سُـورَةٌ أَنْ آمِنُـوا بِـاللهِ وَجَاهِـدُوا مَـعَ رَسُولِهِ اِسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) [التوبة86_87]، فمن خلال سياق الآية الأولى يتضح لنا أن المذكورين بها أقل ضلالا وكفرا من المذكورين في الآية الأخرى، والدليل على ذلك ما ذكره من صفاتهم وأحوالهم؛ فقد قال تعالى في الآية الأخرى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِـفِ وَطَبَـعَ اللهُ عَلَى قُلُـوبِهِمْ فَهُـمْ لاَ يَعْلَمُـونَ، يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوا لَـنْ نُـؤْمِنَ لَكُـمْ قَـدْ نَبَّأَنَـا اللهُ مِـنْ أَخْبَـارِكُمْ وَسَـيَرَى اللهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُــولُهُ ثُـمَّ تُـرَدُّونَ إِلَـى عَـالِمِ الغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِـئُكُم بِمَـا كُنْـتُمْ تَعْمَلُـونَ، سَـيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا اِنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا

عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ) [التوبة93_96]، وبالنظر إلى سياق الآيتين نجد أن الله لم يذكر من الصفات في الأولين سوى أنهم يستأذنون الرسول إذا ما نزلت سورة تأمر بالجهاد، ويطلبون بقاءهم قاعدين، في حين ذكر من صفات الآخرين ما يدل على شدة كفرهم وضلالهم وغضب الله عليهم، فقد:

_ طلب تعالى رد اعتذارهم إذا اعتذروا بقوله: (قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا)

_ وطلب بتكذيبهم بقوله: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ)

_ وطلب الإعراض عنهم بقوله: (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ)

_ ووصفهم بأنهم رجس بقوله: (إِنَّهُمْ رِجْسٌ)

... ولذلك ناسب بناء الفعل (طَبَع) للمعلوم وإسناده إلى الله تعالى للدلالة على شدة تمكن الكفر في نفوسهم، بخلاف الآية الأخرى (السامرائي ف.، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 1427هـ/2006م، صفحة 77_79).

فكان الغرض البلاغي من استخدام الفعل (طَبَع) مبنيا للمعلوم في هذه الآية؛ ذم وقدح الكافرين، لغضب الله عليهم. أما الغرض من بنائه للمجهول في الآية الأولى فهو العلم بالفاعل وعدم الحاجة لتكراره، وكذا مناسبة ما تقدمه.

6 خاتمة:

من مظاهر بلاغة التعبير القرآني بناء الفعل للمجهول، فحذف الفاعل أسلوب بلاغي يوضح الأساليب الجمالية للبلاغة العربية، وقد جمع هذا البحث بعض الأفعال التي اختلفت صيغ بنائها بين الآيات المتشابهات الألفاظ تارة للفاعل وتارة للمفعول، بغرض توجيهها، فكان أن خلص إلى مجموعة من النتائج:

- أدى اختلاف صيغة بناء الفعل بين المعلوم والمجهول إلى زيادة في المعنى؛ مما جعل الآية تختلف عن شبيهتها في اللفظ من خلال اتجاه معنى كل واحدة منهما اتجاها يختلف عن الآخر.
- إن حذف الفاعل يدل على الاهتمام بالفعل، وتسليط الضوء على الحدث، وبيان مدى تعلق هذا الأخير بمفعوله.
- يحذف الفاعل وينوب عنه المفعول لتحقيق أغراض بلاغية متعددة منها: تحقيق السجع، التعظيم، التحقير، الإيجاز، العلم بالفاعل وعدم الحاجة إلى تكراره...
- البناء للفاعل والبناء للمفعول في القرآن الكريم تنويع في الأساليب، ويحمل في الوقت نفسه دلالات مختلفة يمكن اكتشافها من خلال توجيه الآيات إلى معانيها.
- التحول من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول يعد تحولا في الدلالة.

7 قائمة المراجع:

1. الغرناطي، ابن الزبير، (د ت)، *ملاك التأويل*، دار الكتب العلمية، لبنان.
2. الكفوي، أبو البقاء، (1413هـ/1993م)، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، مؤسسة الرسالة، لبنان.
3. الإسكافي، الخطيب، (1422هـ/2001م)، *درة التنزيل وغرة التأويل*، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
4. ابن جماعة، بدر الدين، (1410هـ/1990م). *كشف المعاني في المتشابه من المثاني*، دار الوفاء.
5. الزركشي، بدر الدين، (د ت)، *البرهان في علوم القرآن*، دار التراث، مصر.

6. البقاعي، برهان الدين، (د ت) *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتاب الإسلامي، مصر.

7. الكرماني، برهان الدين، (1406هـ/1986م)، *البرهان في توجيه متشابه القرآن*، دار الكتب العلمية، لبنان.

8. ابن عقيل، بهاء الدين، (1400هـ/1980م)، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، دار التراث، مصر.

9. الأنصاري، زكريا، (د ت)، *فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن*، دار الكتاب الجامعي، مصر.

10. الأفغاني، سعيد، (د ت)، *الموجز في قواعد اللغة العربية*، دار الفكر.

11. الأنباري، عبد الرحمن، (1418هـ/1997م). *أسرارالعربية*، دار الكتب العلمية، لبنان.

12. الفوزان، عبد الله، (د ت)، *دليل السالك إلى ألفية ابن مالك*. دار المسلم.

13. ابن جني، عثمان، (1406هـ/1986م). *المحتسب*، دار سزكين.

14. الجارم، علي، وأمين، مصطفى، (د ت)، *النحو الواضح*، دار المعارف، مصر.

15. الأشموني، عيسى، (1375هـ/1955م)، *شرح الأشموني على ألفية ابن مالك*، دار الكتاب العربي، لبنان.

16. السامرائي، فاضل صالح، (1427هـ/2006م)، *بلاغة الكلمة في التعبير القرآن*، العاتك لصناعة الكتاب، مصر.

17. السامرائي، فاضل صالح. (1420هـ/2000م)، *معاني النحو*، دار الفكر.

18. أبو العباس، محمد علي، (د ت)، *الإعراب الميسر*، دار الطلائع، مصر.

19. السامرائي، محمد فاضل، (1437هـ/2016م)، *دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل*، دار ابن كثير، لبنان.

20. الزمخشري، محمود، (1425هـ/2004م)، *المفصل في علم العربية*، دار عمار، الأردن.

21. القيسي، منيع، (1416هـ/1996م)، *سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد*، دار البشير، الأردن.

22. الأعشى، ميمون بن قيس، (د ت)، *ديوان الأعشى الكبير*، المطبعة النموذجية.